استعمال ألفاظ الظّواهر الطّبيعيّة والتّمثيل بها في نصوص السنّة النّبويّة - الثّلج والبَرَد أنموذجا -

د. سلاف لقيقط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

ملخص

اختار النبي -عليه السلام- ظاهرتان طبيعيتان من ظواهر هذا الكون، ألا وهما: ظاهرتي الثلج والبرد، واستعملهما في العديد من أدعيته: كدعاء الاستفتاح في الصلاة، ودعاء الرفع من الركوع، والدعاء للميت في صلاة الجنازة .. وفي تقريب بعض عطاياه مما منّ الله به عليه في الآخرة: كحوضه ونهره الكوثر.. وفي وصف كيفية غسل جوفه وقلبه في: حادثة شق صدره -عليه السلام- .. وقد اختار الظاهرتين دون غيرهما من الظواهر، لقدرتهما على الإنقاء، وتميزها بالصفاء، وبالبرودة الباعثة على القوة والنشاط، ولما لهما من دلالة على السرور وقرار النفس .. وهي المعاني التي رامها النبي -عليه الصلاة والسلام- من هذا التمثيل والتصوير في هذه الأحاديث.

Résumé

Le prophète a choisi parmi les différents phénomènes naturel deux phénomènes existants dans cet univers qui sont: la neige et les cristaux de glace. Il les a utilisé dans plusieurs invocations comme : l'invocation pour commencer la prière, l'invocation de la levée de génuflexion, pour le décédé lors de l’enterrement et pour une approche à ces offres aux paradis comme son bassin et sa rivière « El kawther » et pour décrire la façon de son âme et de son cœur lors de la scène ou sa poitrine était tranchée par Gabriel. Il a choisi ce phénomène en particulier parce qu’il représente la clarté et la propreté et une fraîcheur qui induit la force et l’énergie et une douceur qui exprime la joie et la prospérité ce sont les différents messages que le prophète (Paix et Bénédictions sur lui) a voulu nous transmettre par ces description dans ces « Hadiths ».

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على قائد الغر المحجلين محمد بن عبد الله .. وعلى آله وصحبه والتابعين .. ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم إلى يوم الدين. وبعد:

بعث النبيّ العربي الأميّ ﷺ بلسان قومه، وبلغتهم، وليكمل الله ببعثته البيان، ويتم النعمة، ويقيم الحجة، زيّن منطقه بالحكمة وفصل الخطاب، وألان له الحروف العربية وآتاه جوامع الكلم، وأيّده بالوحيّ عصمة له من الهوى أو الزّلل، فكانت أقواله وحيا وأحاديثه هديا –صلوات ربي وسلامه عليه–، الأمر الذي استدعى سبرها وتأملها ،كشفا لدلالاتها وأسرارها، وظفرا بدررها وحكمها التي لم يحدها زمان، ولم تجف في تسطيرها الأقلام، وظلت إلى يوم الناس هذا محل بحث واهتمام، وما هذه الصفحات وما حوين إلاّ دليل على ذلك.

هذا ولقد لفت انتباهي ورود لفظتين لظاهرتين من الظواهر الطبيعية المتميزة، هما ظاهرتا "الثلج والبرد" التي لم تكن مألوفة في جزيرة العرب لمناخها الصحراوي الحار، رغم ذلك أولاها المصطفى ﷺ جانبا من تفكره ونظره المتفحص في الكون، وكان له قصب السبق في استعمالها في مناسبات شتى، حيث استخدمها كوسيلة للتطهر من الخطايا في أدعيته، والتخلص من حظ الشيطان أثناء حادثة شق الصدر، كما أوردها في سياق التمثيل والتقريب لصور بعض أمور الغيب التي لا طاقة للعقل على إدراكها... ولمعان أخرى سأحاول كشفها بتتبع واستقراء أحاديثه، من خلال هذا البحث الذي وسمته بـ:

استعمال ألفاظ الظّواهر الطّبيعيّة والتّمثيل بها في نصوص السنّة النّبويّة

–الثّلج والبَرَد أنموذجا–

وهذا عرض لحيثيات الموضوع في خطّة ضمنتها مطلبين، مفرعين إلى فروع عدة .. وفق المنوال الآتي:

– المطلب الأول: مفهوم لفظتي الثلج والبرد.

– الفرع الأوّل: مفهوم الثّلج في المعاجم اللغوية.

- الفرع الثاني: مفهوم البَرَد في المعاجم اللغوية.

- المطلب الثاني: لفظتي الثّلج والبَرَد و استعمالاتهما في السنة النبوية.

- الفرع الأول: في دعاء الاستفتاح في الصلاة.
- الفرع الثاني: في دعاء الرفع من الركوع.
- الفرع الثالث: في الدعاء للميت أثناء صلاة عليه.
- الفرع الرابع: في وصف الحوض والكوثر.
- الفرع الخامس: في وصف الحجر الأسود.
- الفرع السادس: صفة للماء الذي غسل به وقلبه.

- الخاتمة.

المطلب الأول: يستدعي البحث الوقوف على بعض المفاهيم التي يجب تفسير معانيها، وأهم ما يجب الوقوف عنده مفهوم الثّلج والبَرَد في المعاجم اللغوية لنرى مدى التوافق بين المعنى اللغوي والاستعمال الاصطلاحي الذي خصها به الرسول ﷺ.

الفرع الأوّل: لفظة الثلج

- قال ابن منظور: "الثَّلْجُ: الذي يسقط من السماء معروف ... وفي حديث الدعاء: [واغْسِلْ خَطايَاي بماء الثَّلْجِ والبَرَدِ][1] إنما خصهما بالذكر تأْكيداً للطهارة ومبالغةً فيها لأَنهما ماءَان مفطوران على خلقتهما لم يُستعملا ولم تنلهما الأَيدي ولم تخضهما الأَرجل كسائر المياه التي خالطت التراب وجرت في الأَنهار وجمعت في الحياض فكانا أَحق بكمال الطهارة.

- وقد أَثْلَجَ يومُنا وأَثْلَجُوا: دخلوا في الثَّلْجِ، وثُلِجُوا: أَصابهم الثَّلْجُ، وأَرضٌ مَثْلُوجَةٌ: أَصابها ثَلْجٌ، وماءٌ مَثْلُوجٌ: مُبَرَّدٌ بالثَّلج ... ونَصْلٌ ثُلاجِيٌّ : إِذا اشتدَّ بياضه"[2].

- وقال ابن فارس: "(ثلج): الثاء واللام والجيم أصلٌ واحد، وهو الثَّلْج المعروف، ومنه تتفرع الكلمات المذكورة في بابه:

(1) سيأتي تخريج روايات هذا الحديث لاحقا –بإذن الله–.

(2) ابن منظور: لسان العرب (500/1).

- يقال أرضٌ مثلوجة: إذا أصابَها الثّلْج.
- فإذا قالوا رجلٌ مثلوج الفؤاد: فهو البليد العاجز، وهو من ذلك القياس، والمعنى: أنّ فؤادَه كأنّه ضُرِب بثَلْجٍ فَبَرَدَتْ حرارتُه وتبلَّد...
- وإذا قالوا ثَلِجَ بخبرٍ أتاه: إذا سُرَّ بهِ، فهو من الباب أيضاً؛ وذلك أنّ الكرب إذا جَثَمَ على القلْب كانت له لَوعةٌ وحَرارة، فإذا وَرَدَ ما يُضادُّه جاءَ بَرْدُ السُّرور، وهذا شائعٌ في كلامهم"(1).

– وقال صاحب متن اللغة: "الثلج: هذا المطر الجامد المعروف، الثلاج: بائعه، والمثلجة: موضعه .. المكان يباع فيه الثلج، وقد اشتق منه الثلاجة: الأداة التي تبرد الأشياء من طعام أو شراب"(2).

الفرع الثاني: مفهوم لفظة البَرَد

– قال ابن منظور: "والبَرَدُ سحاب كالجَمَد، سمي بذلك لشدة برده، وسحاب بَرِدٌ وأَبْرَدُ: ذو قُرٍّ وبردٍ ...

والبَرَد: حجارة صلبة ... والبَرَدُ: حبُّ الغمام، تقول: منه بَرُدَتِ الأَرض، وبُرِدَ القوم .. أَصابهم البَرَدُ، وأَرض مبرودة كذلك، وقال أبو حنيفة: شجرة مَبْرودة: طرح البَرْدُ ورقها الأزهري، وأَما قوله عز وجل: ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ**﴾(3) ففيه قولان:

- أَحدهما وينزل من السماء من أَمثال جبال فيها من بَرَدٍ.
- والثاني وينزل من السماء من جبال فيها بَرَداً ومن صلة.

والبَرْد: النوم لأَنه يُبَرِّدُ العين بأَن يُقِرَّها، وفي التنزيل العزيز: ﴿**لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا**

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (385/1-386).

(2) أحمد رضا: متن اللغة (445/1).

(3) الآية كاملة: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ ﴾ [النور: (43)]

﴿شَرَابًا﴾[(1)]... روي عن ابن عباس قال: لا يذوقون فيها برد الشراب ولا الشراب. قال، وقال بعضهم: لا يذوقون فيها برداً .. يريد نوماً وإن النوم ليُبَرِّد صاحبه، وإن العطشان لينام فَيَبْرُدُ بالنوم"[(2)].

– وقال صاحب متن اللغة: "البَرَد: حب الغمام"[(3)].

المطلب الثاني: لفظتي الثلج والبَرَد واستعمالاتهما في السنة النبوية

تعددت مناسبات ومواضع ذكره ﷺ للفظتي الثلج والبَرَد .. فاستعملهما في بعض أدعيته: كدعاء الاستفتاح، والركوع، والرفع منه، ودعائه للميت .. كما وصف بها حوضه، وكوثره، والحجر الأسود، والماء الذي غسل به جوفه وقلبه في حادثة شق صدره –عليه السلام– .. فارتأيت عرض هذه المواضع وترتيبها حسب ترتيب الفروع الآتية:

الفرع الأول: دعاء الاستفتاح في الصلاة

خص النبي ﷺ استفتاحه للصلاة بدعاء كان يردده ويواظب على ذكره قبل القراءة وبعد تكبيرة الإحرام في سكتة لطيفة راعت انتباه الصحابة ﷺ وعلى رأسهم الصحابي الجليل أبو هريرة الذي راح يسأل الحبيب عليه السلام عن سرها، فقال ﷺ يروي تفاصيل ذلك:

"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ القِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً – قَالَ أَحْسَبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً–، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ :[اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ[(4)]] "[(1)]

(1) [النبأ: (24)]. – ووردت لفظة "بَرْدًا" أيضا في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الأنبياء: (96)]

(2) ابن منظور: لسان العرب (249/1).

(3) أحمد رضا: متن اللغة (267/1).

(4) اختلفت الروايات في ترتيب هذه العناصر الثلاثة، فعند البخاري بهذا الترتيب: الماء ثم الثلج ثم البرد، =

بهذه الكلمات اختار –صلى الله عليه وسلم– أن يفتتح لحظات الوصال، وأن يناجي الواحد المتعال، عبارات جمعت كل معاني الرجاء في مغفرة الزلات ومحو الخطايا. هذه الأخيرة التي شبهها بالدنس.

– قال ابن حجر: "... قوله: (نقني) مجاز عن زوال الذنوب ومحو أثرها، ولما كان الدنس في الثوب الأبيض أظهر من غيره من الألوان وقع التشبيه به، قاله ابن دقيق العيد"(2).

وقد مثل –صلى الله عليه وسلم– لما هو معنوي من محو الذنوب والتخلص من آثارها بما هو محسوس من غسل الدنس والتطهر من الأدران، غير أنه عدل عن المألوف من أدوات التطهير، والمتعارف على نجاعته إلى ما لم يعهد استعماله من الوسائل لهذا الغرض، فالمعروف أن الماء الساخن أسرع في الإنقاء وأكثر فعالية إلا أنه –عليه الصلاة والسلام– اختار [الثلج والبرد] لحكمة تباينت مذاهب العلماء في تجليتها.

– فقال السيوطي: "... [اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد] ... قال الكرماني: فإن قلت: العادة أنه إذا أريد المبالغة في الغسل أن يغسل بالماء الحار لا البارد لا سيما الثلج ونحوه، قلت: قال الخطابي: هذه أمثال لم يرد بها أعيان المسميات، وإنما أريد بها التوكيد في التطهير من الخطايا، والمبالغة في محوها عنه، والثلج والبرد ماءان

= وعند مسلم الثلج ثم الماء ثم البرد. كذلك جاءت رواية البخاري بلفظ [اغسل خطاياي] وجاءت رواية مسلم بلفظ [اغسلني من خطاياي]، والظاهر أن ألفاظ الأولى أكثر ضبطا وأوضح بيانا وأدق عبارة لأمور منها: تحري الراوي وتقصيه الصحيح الثابت من كلام الصحابي، حيث قال: [أَحْسَبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً] ففيه دليل على تثبته في الرواية، ثم إن الترتيب على النحو المذكور فيه ترقي من البارد إلى ما هو أبرد منه وهو ترتيب منطقي يحمل دلالة علمية سيتم تجليتها لاحقا. ثم إن غسل الخطايا هكذا بتعيين المغسول وتحديد ذاته أبلغ في البيان.

(1) أخرجه: – البخاري في صحيحه: ح (711) كتاب: الأذان، باب: ما يقول بعد التكبير.

– مسلم في صحيحه: ح (598)،كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة.

(2) ابن حجر: فتح الباري (230/2).

مقصوران على الطهارة لم تمسهما الأيدي، ولم يمتهنهما استعمال، وكان ضرب المثل بهما أكد في بيان ما أراده من التطهير، قال الكرماني: ويحتمل أنه جعل الخطايا بمنزلة نار جهنم؛ لأنها مؤدية إليها فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل تأكيدا في الإطفاء وبالغ فيه باستعمال المبردات"[1].

– وقال الحافظ: "وقال ابن دقيق العيد: عبر بذلك عن غاية المحو، فإن الثوب الذي يتكرر عليه ثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النقاء، قال: ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد من هذه الأشياء مجاز عن صفة يقع بها المحو وكأنه كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾، وأشار الطيبي إلى هذا بحثا فقال: يمكن أن يكون المطلوب من ذكر الثلج والبرد بعد الماء شمول أنواع الرحمة والمغفرة بعد العفو لإطفاء حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة، ومنه قولهم: برّد الله مضجعه. أي: رحمه ووقاه عذاب النار. انتهى... وكأنه جعل الخطايا بمنزلة جهنم لكونها مسببة عنها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيا عن الماء إلى أبرد منه. وقال التوربشتي: خص هذه الثلاثة بالذكر؛ لأنها منزلة من السماء. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاث إشارة إلى الأزمنة الثلاثة "فالمباعدة للمستقبل، والتنقية للحال، والغسل للماضي. انتهى. وكأن تقديم المستقبل للاهتمام بدفع ما سيأتي قبل رفع ما حصل" [2].

– وقال السندي: "... (بالثلج) أي بأنواع المطهّرات، والمراد مغفرة الذنوب وسترها بأنواع الرحمة والألطاف، قيل والخطايا لكونها مؤدية إلى نار جهنم نزلت بمنزلتها فاستعمل في نحوها من المبردات ما يستعمل في إطفاء النار. (والبرد) –بفتح الراء– حبّ الغمام، وحيث التطهير من المعاصي غسلا لها بهذه الآلات تشبيها له بالغسل الشرعي أفاد الكلام أن هذه الآلات تفيد الغسل الشرعي وإلا لما حسن هذه الاستعارة"[3].

---

(1) السيوطي: حاشية السيوطي على سنن النسائي (52/1).

(2) ابن حجر: فتح الباري (230/2).

(3) السندي: حاشية السندي على سنن النسائي (51/1).

– وقد سئل شيخ الإسلام عن معنى هذا الدعاء وفائدة ما ورد فيه من التخصيص بتلك الأمور الثلاثة، فقال –فيما نقله ابن القيم–: "الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا، فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمدّ النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه. والماء يغسل الخبث ويطفيء النار فإن كان باردا أورث الجسم صلابة وقوة فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته فكان أذهب لأثر الخطايا"(1).

– وقال أيضا: "هذه الأمور توجب تبريد المغسول بها والبرد يعطي قوة وصلابة وما يَسُرُّ يوصف بالبرد وقرة العين ولهذا كان دمع السرور باردا ودمع الحزن حارا لأن ما يسوء النفس يوجب حزنها وغمها وما يسرها يوجب فرحها وسرورها وذلك مما يبرد الباطن، فسأل النبي ﷺ أن يغسل الذنوب على وجه يبرد القلوب أعظم برد يكون بما فيه من الفرح والسرور الذي أزال عنه ما يسوء النفس من الذنوب"(2).

– ولعل هذا الوجه هو الذي أشار إليه كذلك الكلاباذي حين قال: "وقوله –صلى الله عليه وسلم–: [اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد] أنه أراد تكفيرها بالعفو والفضل والتجاوز من غير ألم وشدة من حرارة محن المكان في الدنيا ، ووهج النار في العقبى"(3).

* وعلى هذا ففي قوله –صلى الله عليه وسلم– [اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد] تنبيه على شدة حاجة البدن والقلب إلى ما يطهرهما ويبردهما ويقويهما و يزيل عنهما خمول المعصية ويبعث فيهما النشاط إلى الطاعة .. ذلك أن المعاصي إما أن تكفر بالمحن والبلايا في الدنيا، أو بالشدائد والأهوال يوم القيامة، وقد تكون بالنار والعذاب أو بالستر والعفو والتجاوز فعبر عن هذه الأخيرة بالثلج والبرد لما فيها من برد النفوس، وثلج الصدور، وراحة الأفئدة والقلوب.

(1) ابن القيم: إغاثة اللهفان (57/1).

(2) ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة (67/1).

(3) الكلاباذي: بحر الفوائد (231/1).

وفيه تحذير من المعاصي والخطايا وتأكيد على خطورتها، وأن التطهر منها واجب وعمل يتطلب جهدا كبيرا، وأدوات فعالة في مقدمتها الدعاء والاستعانة بالله -عزوجل.

إضافة لما سبق فالحديث دليل على مشروعية الدعاء بين التكبير والقراءة خلافا للمشهور عن مالك.

– وقال النووي: "وفي هذا الحديث... دليل للشافعي وأبي حنيفة وأحمد والجمهور -رحمهم الله تعالى- أنه يستحب دعاء الافتتاح، وجاءت فيه أحاديث كثيرة في الصحيح منها هذا الحديث... وغير ذلك من الأحاديث... وقال مالك رضي الله عنه: لا يستحب دعاء الافتتاح بعد تكبيرة الإحرام، ودليل الجمهور هذه الأحاديث الصحيحة"[1].

وفيه ما كان الصحابة عليه من المحافظة على تتبع أحوال النبي ﷺ في حركاته وسكناته وإسراره وإعلانه حتى حفظ الله بهم الدين، واستدل به بعض الشافعية على أن الثلج والبرد مطهران[2].

الفرع الثاني: دعاء الرفع من الركوع

في موقف آخر بين يدي الرحيم الرحمن يعود المصطفى ﷺ بعد أن عدل قائما من ركوعه ليكرر طلبه ويلح في دعائه بتمام المغفرة وكمال الطهارة من الذنوب والآثام متخيرا لذلك الأداة ذاتها.

– فعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ ظَهْرَهُ -أو رأسه- مِنْ الرُّكُوعِ قَالَ: [سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ: مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنْ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْوَسَخِ. أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ

(1) النووي: شرح مسلم (97/5).

(2) ابن حجر: فتح الباري (230/2).

لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ](1).

– قال النووي: "... قوله –صلى الله عليه وسلم–: [اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد] استعارة للمبالغة في الطهارة من الذنوب وغيرها... قوله: [كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ] وفي رواية: من الدرن، وفي رواية: من الدنس، كله بمعنى واحد، ومعناه اللهم طهرني طهارة كاملة معتنى بها كما يعتنى بتنقية الثوب الأبيض من الوسخ"(2).

– وقال ابن الجوزي: "وفيما انفرد به مسلم: [اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد] قال الخطابي: إنما خص الثلج والبرد لأنهما ماءان مفطوران على الطهارة الأولى، لم يُمَرسا بيد ولم يُخَاضا برجل، وذلك أوفى لصفة الطهارة وأبعد لها من مخالطة شيء من أنواع النجاسة. وقال غيره: هذه المذكورات صافية فهي تنفي الأوساخ أكثر من الماء الكدر"(3).

– وقال ابن القيم: "وفى هذا الحديث من الفقه: أنَّ الداء يُداوَى بضده، فإنَّ في الخطايا من الحرارة والحريق ما يُضاده الثلجُ والبَرَدُ، والماءُ البارد، ولا يقال: إنَّ الماء الحار أبلغُ في إزالة الوسخ، لأنَّ في الماء البارد من تصليب الجسم وتقويته ما ليس في الحار، والخطايا تُوجب أثرين: التدنيس والإرخاء، فالمطلوبُ مداواتها بما ينظِّفُ القلب ويُصَلِّبُهُ، فذكر الماء البارد والثلج والبَرَد إشارةٌ إلى هذين الأمرين"(4).

* هكذا لما كانت الذنوب والمعاصي أساس شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة، وكان لها الأثر البالغ في تحديد مصيره يوم القيامة، كان –صلى الله عليه وسلم– كثيرا ما يتعوذ من فعلها، ويسأل ربه في أدعية عامة وخاصة الخلاص مما كان وما هو كائن وما قد يكون منها ومن آثارها. متخيرا لذلك الأوقات المناسبة الداعية للإجابة والألفاظ ذات الدلالات العميقة كما يظهر ذلك جليا في هذه الأدعية. حيث اختار –صلى الله عليه

(1) أخرجه: – مسلم في صحيحه :ح (476)،كتاب: الصلاة، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع.

(2) النووي: شرح مسلم (194/4).

(3) ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين (446/1).

(4) ابن القيم: الطب النبوي (225/1).

وسلم- في الحديث الأول أن يناجي ربه أوّل ما يقبل عليه في صلاته بعد افتتاحها وقبل الشروع في أداء مناسكها بتلك الكلمات، ثم عاد فكررها بعد قيامه من الركوع تأكيدا على طلبه ملتمسا الإجابة وقد كان لسانه يلهج بتسبيح الله والثناء عليه وكأنه يتشفع بذلك الموقف الجليل من مواقف الذل والعبودية للعلي القدير أن يغفر ما كان من ذنبه ويبيض صحيفته ويطهر قلبه من درن الخطايا. ولئن كان ذلك حاله -صلى الله عليه وسلم- وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فحري بغيره ممن سودت صحائفهم المعاصي، وأثقلت كواهلهم الآثام أن يكونوا أكثر أوبة إلى الرحمن، وأشد التزاما وتمسكا بسنة المصطفى العدنان -عليه الصلاة والسلام-.

هذا وقد جمعت هذه الكلمات أمورا حسية إلى جانب أخرى معنوية .. وفي هذا يقول ابن القيم: "النجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان. وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا و هذا، فذكر النبي ﷺ من كل شطر قسما نبه به على القسم الآخر فتضمن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار وحسن البيان... ومن كمال بيانه وتحقيقه لما يخبر به ويأمر به تمثيله الأمر المطلوب المعنوي بالأمر المحسوس وهذا كثير في كلامه"(1).

الفرع الثالث: الدعاء للميت أثناء الصلاة عليه

- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ قَالَ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ -وَصَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ- فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: [اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ.] قَالَ عَوْفٌ: فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمَيِّتِ"(2).

- قال النووي: "فيه: إثبات الدعاء في صلاة الجنازة، وهو مقصودها ومعظمها. وفيه:

(1) ابن القيم: إغاثة اللهفان (57/1).

(2) أخرجه: - مسلم في صحيحه: ح (963)، كتاب: الجنائز، باب: الدعاء للميت في الصلاة.

استحباب هذا الدعاء"[1].

* إن أحوج ما يحتاج إليه الميت عند إدباره عن الدنيا، وإقباله على الآخرة والقبر أول منازلها، أين تكشف عنه الأستار ويعلم بما إليه صار، دعاء الأتقياء والمخلصين برحمة وعفو العزيز الغفار، لأجل ذلك شرعت صلاة الجنازة على الميت قبل أن يوارى التراب، وفرض له فيها الدعاء، وسنّ الرسول ﷺ هذه الكلمات في مثل هذا المقام تأكيدا على حاجته إلى أن تمحى ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته وتغفر زلاته، وأن يغسل جميعه ويطهر كل التطهير مما يمكن أن يحول بينه وبين الجنة من المعاصي وأمراض القلوب وأدران الدنيا، وأن يثلج الله صدره بذهاب الخوف عنه فيمتلئ أمانا وطمأنينة، وينعم عليه ببرد اليقين كاشفا عنه حرارة الشك، ويقر عينه بالنجاة والفوز والرضا والرضوان. بهذه المعاني تأول علماء الأمة قديما الحكمة من إدراج النبي ﷺ هاتين اللفظتين في أدعيته على اختلاف مناسبتها، وتعليقه الطهارة من الذنوب على ما لها من خاصية البرودة مخالفا بذلك المعهود والمتعارف عليه من أن الماء الساخن أسرع في الإنقاء. وقد استأنسوا في ذلك بالدلالات اللغوية لكلمتي الثلج والبرد.

– وانطلاقا من كل ما سبق وبالاعتماد على ما اكتشفه العلم الحديث من مفاهيم وقوانين فيزيائية وكيميائية يقول زغلول النجار –أحد علماء العصر المختصين في العلوم الكونية– في إبراز وجه الحكمة في ذلك: "كلنا نعلم أن الماء عندما يتجمد يصبح ثلجا عند درجة الصفر المئوي وتتغير طريقة ارتباط الجزيئات... فهناك بعض الأوساخ التي لا تزول بالماء أو بالماء والصابون وذلك لأن قوى الالتصاق بين هذه البقع والقماش تكون كبيرة مثل بقع الشمع أو العلك على القماش. فعند وضع قطعة من الثلج عليها فإن البرودة تعمل على تقارب جزيئات هذه المادة (تنكمش) فتقل قوى الالتصاق بينها وبين القماش مما يؤدي إلى انفصالها (ويمكن لكل منا تجربة ذلك في منزله أما البرد فهو يتكون عند درجة حرارة أقل من الصفر المئوي فإذا كانت هناك أوساخ مستعصية فإن البرد يعمل على انكماش جزيئات هذه الأوساخ بدرجة أكبر من الثلج فتنفصل وتزول.

(1) النووي: شرح مسلم (30/7).

هذا الدعاء الذي شبه الخطايا بالأوساخ التي يجب غسلها بالماء والتي لا تزول بالماء يزيلها الثلج والتي لا تزول بالثلج يزيلها البرد، حتى لا يبقى شيء من خطايا الإنسان... الماء والثلج والبرد هي حالات فيزيائية للماء لها قدرة كبيرة على التنظيف، ولكل منها ميكانيكية خاصة في التنظيف"(1).

ولعله بالرجوع إلى كلام المصطفى ﷺ في وصف المعاصي، والتحذير من خطرها وتأثيرها البالغ على القلب موطن الإيمان وموضع الإدراك، والربط بينه وبين ما قيل سابقا، يمكن أن نقترب من الوجه الدلالي للاستعمال النبوي لهذه الظواهر الطبيعية تحديدا في هذا المقام.

– فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾](2).

– قال المباركفوري: "أي جعلت في قلبه نكتة سوداء أي: أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما. وقال القاري أي :كقطرة مداد تقطر في القرطاس، ويختلف على حسب المعصية وقدرها، والحمل على الحقيقة أولى من جعله من باب التمثيل والتشبيه حيث قيل شبه القلب بثوب في غاية النقاء والبياض. والمعصية بشيء في غاية السواد أصاب ذلك الأبيض فبالضرورة أنه يذهب ذلك الجمال منه وكذلك الإنسان إذا أصاب المعصية صار كأنه حصل ذلك السواد في ذلك البياض... [سُقل قلبه] ... وفي رواية أحمد صقل بالصاد. قال في القاموس : السقل الصقل وقال فيه صقله جلاه انتهى. والمعنى نظف وصفى مرآة قلبه لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقيا أو تمثيليا... [﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾] قال الحافظ ابن كثير: "... إنما حجب قلوبهم عن الإيمان به –بالقرآن وأنه وحي من الله– ما عليها من

(1) زغلول النجار: الإعجاز العلمي في [اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد]. مقال منشور على موقعه: www.elnaggarzr.com

(2) أخرجه: – الترمذي في سننه: ح (3334)،كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة ويل للمطففين. وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

الران الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، والرين يعتري قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين انتهى. قلت: أصل الران والرين الغشاوة وهو كالصَّدَأ على الشيء الصقيل"[1].

"فالقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء كثيف يحجب عنه النور، ويفقده الحساسية شيئا فشيئا حتى يتبلد ويموت"[2].

وهكذا لما كان درن المعصية بهذه الشدة، وسوادها بهذه القتامة كان لزاما للتطهر منها المبالغة والارتقاء في استخدام أكثر الوسائل فاعلية، وهو المعنى الذي نستفيده من قوله –صلى الله عليه وسلم– [بالماء والثلج والبرد] وهي كلها حالات فيزيائية للماء تتفاوت في قدرتها على التنظيف مع فعاليتها الكبيرة في هذا المجال.

وأما تخصيصه –صلى الله عليه وسلم– الثلج والبرد بالذكر في هذا المقام، وكان –عليه الصلاة والسلام– قد خص غيرهما بالتطهير كالتراب[3] والمسك[4] في مقامات أخرى ففيه دليل على أنه قد قصدهما لذاتهما. ويمكن القول أنه أراد –عليه السلام– الإشارة إلى عظم خطورة الخطايا والذنوب لشدة تعلقها بالقلب وتلبسها به حتى تحجب عنه نور الهداية، ذلك أن الثلج والبرد إنما يختصان بفصل الأوساخ المستعصية شديدة الالتصاق بالثياب والتخلص منها لما لهما من قدرة فائقة على ذلك.

أما عدوله –صلى الله عليه وسلم– عن الماء الساخن في التطهير إلى الماء البارد على اختلاف برودته فإنه يفيد مدى حرارة المعصية، والتي لا يطفئها إلا ما يعادلها من البرودة وربما أشد.

---

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذي (9/178-179)، وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (8/350).

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن (6/3857).

(3) فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب]. أخرجه: مسلم في صحيحه، ح (279).

(4) عن عائشة –رضي الله عنها–: "أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل، قال: [خذي فرصة من مسك فتطهري بها]... "أخرجه البخاري في صحيحه، ح (308). ومسلم في صحيحه، ح (332).

هذا وبناء على سبق فإن هذه الأحاديث وما تحويه من إشارات واحدة من دلائل كثيرة على صدق نبوة المصطفى ﷺ بحملها وجها من وجوه الإعجاز العلمي، ذلك أنه –عليه الصلاة والسلام– ذكر هذه العناصر الثلاثة تحديدا، مؤكدا بذلك فاعليتها مخصصا لها بالتطهير في هذا المقام دون سائر المواد، وقد رتبها بحسب فعاليتها في هذه العملية ليفتح بهذا المجال واسعا للبحث والتنقيب عن خصائصها الكيميائية والفيزيائية المميزة لها عما سواها من المطهرات، والتي تجعلها أشد فعالية وأكثر نجاعة في التخلص من المواد شديدة الالتصاق كالشمع والعلك، والتي لم يكتشفها العلم إلا حديثا.

هذا وقد اجتهد العلماء في طلب مناسبة هذه الأقوال وكشف الحكم وراءها بما تقدم عرضه .. غير أني أقول كما قال ابن القيم: "وتبقى أسرار كلماته وأدعيته فوق ما يخطر بالبال."[1].

الفرع الرابع: وصف الحوض والكوثر

أولا– وصف الحوض

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "[إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ[2]، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ[3] كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ.] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: [نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا[4] لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنْ الْأُمَمِ : تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا

(1) ابن القيم : إغاثة اللهفان (59/1).

(2) أيلة: مدينة من بلاد الشام على ساحل البحر، وعدن: معروف. انظر: السندي: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (153/8).

(3) قال النووي: "وقوله –صلى الله عليه وسلم–: [وإني لأصد الناس عنه] وفي الرواية الأخرى [وأنا أذود الناس عنه] هما بمعنى: أطرد وأمنع" شرح مسلم (136/3).

(4) قال النووي: "أما [السيما] فهي العلامة وهي مقصورة وممدودة لغتان، وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة –زادها الله تعالى شرفا– وقال آخرون: ليس الوضوء مختصا بها وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل..." شرح مسلم (135/3).

مُحَجَّلِينَ(1) مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ.]"(2).

– قال ابن حجر: "وَزَادَ أَحْمَد فِي حَدِيث اِبْن عَمْرو مِنْ حَدِيث اِبْن مَسْعُود [وَأَبْرَد مِنْ الثَّلْج] ... وَلِأَبِي يَعْلَى مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَنَس وَعِنْد التِّرْمِذِيّ فِي حَدِيث اِبْن عُمَر [وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَرْدًا مِنْ الثَّلْجِ]"(3).

ثانيا– وصف الكوثر

1. وصف داخلي: [محل الشاهد]

– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنْ الثَّلْجِ].. وفي رواية ابن ماجه: [وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ](4).

2. وصف خارجي

– عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَما رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: [أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

(1) قال ابن حجر: "قوله: -(غرا)- بضم المعجمة وتشديد الراء – جمع أغر أي ذو غرة، وأصل الغرة: لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ، وغرا منصوب على المفعولية ليدعون أو على الحال، أي: أنهم إذا دعوا على رؤوس الأشهاد نودوا بهذا الوصف وكانوا على هذه الصفة.

– قوله: (محجلين) –بالمهملة والجيم– من التحجيل وهو: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحجل بكسر المهملة وهو الخلخال، والمراد به هنا أيضا النور"، فتح الباري (236/1).

(2) – أخرجه: – مسلم في صحيحه: ح (247)، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(3) – ابن حجر: فتح الباري (472/11).

(4) أخرجه: – الترمذي في سننه: ح (3361)، أبواب: الدّعوات، باب: ومن سورة الكوثر، وقال عنه: "هذا حديث حسن صحيح".

– ابن ماجه في سننه: ح (4334)، كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة. وقال عنه الألباني: "صحيح"، صحيح سنن التّرمذي. ح (3361).

﴿وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾] ثُمَّ قَالَ: [أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟] فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: [فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي –عَزَّ وَجَلَّ– عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ.](1).

– قال النووي: "و(الكوثر) هنا نهر في الجنة كما فسره النبي ﷺ، وهو في موضع آخر عبارة عن: "الخير الكثير"، وقوله: (يختلج) أي ينتزع ويقتطع."(2).

– قال ابن حجر: "وقال أبو عبد الله القرطبي في "التذكرة": ذهب صاحب "القوت" وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح، أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا. قلت: وفيه نظر لأن الكوثر نهر داخل الجنة... وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه."(3).

– وكلام العلماء في الحوض والنهر يمكن تلخيصه في قولين:

1. الحوض هو النهر.

2. الحوض غير النهر.

ورجح ابن حجر القول الثاني، معتبرا أن الْحَوْض هُوَ خَارِج الْجَنَّة والنَّهر هُوَ دَاخِل الْجَنَّة، بقوله: "... أن الحوض الذي هو خارج الجنة يمد من النهر الذي هو داخل الجنة فلا إشكال أصلا."(4).

* وإجمالا لما سبق يمكن القول أن: الحوض والكوثر عطية الله منَّ بها على نبيّه ﷺ، يجب على كل مكلف الإيمان والتصديق بها على النحو والصفة التي ورد ذكرها في هذه الأحاديث، والتي نعتها بها –عليه الصلاة والسلام– لأصحابه ولأمته من بعده.

---

(1) أخرجه: – مسلم في صحيحه: ح (400)، كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة... .

(2) النووي: شرح مسلم (113/4).

(3) ابن حجر: فتح الباري (466/11).

(4) ابن حجر: فتح الباري (473/11).

حيث جاء كلامه صريحا بوجودهما -الحوض والكوثر- دقيقا في وصفهما. وعلى الرغم من تعلق الكلام بشيئين من الغيب لا قدرة للعقل على تصوره، فإن النبي ﷺ لم يأل جهدا في تقريب صورتهما بربط ما هو غيبي بما هو مشهود. وهو أسلوب نبوي دعوي هام فائدته كما بينها ابن القيم: "تقريب المواد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره وكلما ظهرت له الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكّية له"[1] .. هذا وقد خرج الحديث مخرج الترغيب في إطالة الغرة في الوضوء.

الفرع الخامس: وصف الحجر الأسود

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنْ الْجَنَّةِ وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ، فسَوَّدَتْهُ خطايا بني آدم][2].

– قال المباركفوري: "[فسودته خطايا بني آدم] قال في المرقاة: أي صارت ذنوب بني آدم الذين يمسحون الحجر سببا لسواده، والأظهر حمل الحديث على حقيقته إذ لا مانع نقلا ولا عقلا. وقال بعض الشراح من علمائنا يعني الحنفية: هذا الحديث يحتمل أن يراد به المبالغة في تعظيم شأن الحجر وتفظيع أمر الخطايا والذنوب، والمعنى أن الحجر لما فيه من الشرف والكرامة واليمن والبركة شارك جواهر الجنة فكأنه نزل منها وأن خطايا بني آدم تكاد تؤثر في الجماد فتجعل المبيض منه أسود فكيف بقلوبهم أو لأنه من حيث إنه

---

(1) ابن القيم: إعلام الموقعين (239/1، 240).

(2) أخرجه: – أحمد في مسنده: ح (2796).

– وصححه ابن خزيمة في صحيحه: ح (2733).

وأخرجه الترمذي في سننه: ح (877)، كتاب: الحج عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، بإسنادهما، لكن بلفظ: [أَشَدَّ بَيَاضًا مِنْ اللبن] وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وقال عنه الألباني: "صحيح"، صحيح سنن الترّمذي. ح (877).

مكفر للخطايا محاء للذنوب كأنه من الجنة ومن كثرة تحمله أوزار بني آدم صار كأنه ذو بياض شديد فسودته الخطايا، ومما يؤيد هذا أنه كان فيه نقط بيض ثم لا زال السواد يتراكم عليها حتى عمها. وفي الحديث: [إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا أذنب نكتت فيه نكتة أخرى وهكذا .. حتى يسود قلبه جميعه ويصير ممن قال فيهم: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: (14)]][1] والحاصل أن الحجر بمنزلة المرآة البيضاء في غاية من الصفاء ويتغير بملاقاة ما لا يناسبه من الأشياء حتى يسود لها جميع الأجزاء وفي الجملة: الصحبة لها تأثير بإجماع العقلاء انتهى كلام القاري. قال الحافظ ابن حجر: واعترض بعض الملحدين على هذا الحديث فقال كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد؟ وأجيب بما قال ابن قتيبة: لو شاء الله لكان ذلك وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ على العكس من البياض. وقال المحب الطبري: في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة. فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد، قال وروي عن ابن عباس إنما غيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة فإن ثبت فهذا هو الجواب. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الحميدي في فضائل مكة بإسناد ضعيف. انتهى"[2].

* نعم أقول... ويبقى الحجر الأسود يشهد على عظم معاصي الناس، وشدة سواده دليل على شدة ما أوغلوا فيه من الآثام، وهول ما اقترفوه من الخطايا إلى أن تقوم الساعة بكل يقين وصدق.

الفرع السادس: صفة للماء الذي غسل به قلبه

– عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: [كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ

(1) نص الحديث أخرجه الترمذي في سننه بهذا اللفظ: ح (3334): "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾".

(2) المباركفوري : تحفة الأحوذي (525/3).

أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بَهْمٍ[1] لَنَا وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا فَقُلْتُ يَا أَخِي: اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي[2] فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي[3] إِلَى الْقَفَا فَشَقَّا بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ[4] سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ، فَغَسَلَا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ، فَغَسَلَا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ فَذَارَّهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حِصْهُ[5] فَحَاصَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ، فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي، وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أُلْبِسَ بِي، قَالَتْ: أُعِيذُكَ بِاللَّهِ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا[6] لَهَا فَحَمَلَتْنِي عَلَى الرَّحْلِ[7]، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَّيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي وَحَدَّثَتْهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ.][8].

– قال ابن حجر: "... ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب ... ومحصله أن الشق الأول: كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك. والشق

(1) البَهْم: جمع بَهْمَة وهي ولد الضأن الذكر والأنثى.

(2) ابتدر الشيءَ وله وإليه: عجل إليه واستبق وسارع.

(3) بطحه: ألقاه على وجهه.

(4) العلقة: القطعة من الدم الغليظ الجامد.

(5) حاص: خَاطَ الثوب والجلد ونحوهما.

(6) رحل البعير: وضع عليه الرحل، وهو كل شيء يعد للرحيل من مركب للبعير ووعاء للمتاع وغير ذلك.

(7) الرحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب. انظر هذه الشروح: حاشية دلائل النبوة للبيهقي (59/1).

(8) أخرجه: – أحمد في مسنده: ح (17689)

– وصححه الحاكم في المستدرك :ح (4230). وقال: "على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي.

– وحسنه الألباني. السلسلة الصحيحة مختصرة: ح (373).

الثاني: كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة، وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء والله أعلم. ومناسبته ظاهرة. وروي الشق أيضا وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب أخرجها أبونعيم في الدلائل. وروي مرة أخرى خامسة ولا تثبت."[1].

– وقال أيضا: "... وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به. وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في "الدلائل" ولكل منها حكمة: فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: [فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك][2] وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث: زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء: ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم... وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك."[3].

* مما سبق أقول: إن نقاء وشدة ما سيكلف بحمله –صلى الله عليه وسلم– للبشرية كان يستدعي أن يكون –عليه الصلاة والسلام– على قدر من الطهر والصفاء،

---

(1) ابن حجر: فتح الباري (460/1).

(2) ثبت في صحيح مسلم: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَتَاهُ جِبْرِيلُ –صلى الله عليه وسلم– وهو يلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ." ح (162).

(3) ابن حجر: فتح الباري (205/7).

واليقين والقوة والحزم، والقلب مظنة ذلك، فكانت حادثة شق الصدر وغسل قلبه بالماء والثلج والبرد تهيئة له لهذا التكليف العظيم، وقد كانت في طفولته حتى تتحقق له العصمة الكاملة فلا يخالط عبث الجاهلية ولا يقع في أوحالها. ثم تكررت معه هذه العملية في محطات أخرى من حياته تخيرها الباري -عز وجل- شدا على أزره وأخذا بيده لما تقتضيه قابل أيامه وتتطلبه حياته الرسالية والجهادية. وقد كان التطهير بماء الثلج والبرد لما لهما من ميزات سبق الإشارة إليها .. أهمها تجديد القوة وبعث الهمة وتهيئة الفؤاد وتقوية البدن لحمل وتحمل أعباء الرسالة والبلاغ، إضافة إلى فعاليتهما في عملية الإنقاء، وهو في هذا قدوة لكل من أراد أن يخلفه على هذا المشعل، ويسير على ذات السبيل، إذ عليه أن يتعاهد قلبه بالتطهير من وساوس الشيطان وفتن الدنيا.

الخاتمة

من خلال البحث رصدت مجموعة من النتائج، أوجزها في النقاط الآتية:

وردت لفظتا ظاهرتي "الثلج" و"البرد" في أحاديث الرسول الكريم ﷺ في مناسبات مختلفة، حيث استعملهما في الدعاء خلال أوقات متمايزة، وفي وصفه الحوض الذي سيجمعه بأمته يوم القيامة ونهر الكوثر سقيا أهل الجنة، وفي تحديده لطبيعة الماء الذي غسلت به الملائكة جوفه وقلبه في حادثة -أو حوادث- شق الصدر التي تعرض لها-عليه الصلاة والسلام-، ولون الحجر الأسود الأصلي قبل أن تغيره خطايا الناس وآثامهم.

إن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، لذلك فإن تحريه لهذه العناصر الثلاثة: الماء البارد، الثلج والبرد تحديدا في هذا المقام من التطهير دون غيرها كالسواك والتراب...الخ التي ذكرها في مناسبات أخرى لذات الغرض، دليل على أنه -صلى الله عليه وسلم- قد قصدها لذاتها، وأنه قصد المعنى الذي ساقها لأجله.

اختيار المصطفى هذه العناصر -الماء، الثلج، البرد- للتطهير والتخلص من الأدران دليل على نجاعتها وفعاليتها في هذه العملية.

أثبت العلم الحديث أن للماء والثلج والبرد خصائص فيزيائية وكيميائية تؤثر بفعلها

على الأوساخ المستعصية شديدة الالتصاق، وتسمح بالتخلص منها، وأن لكل منها ميكانيكية خاصة في هذه العملية. وهو أمر مخالف للمألوف والمعهود، فكان ذلك دليل إعجاز علمي، وإشارة في الحديث إلى صدق المرسل وربانية الرسالة المحمدية.

إلحاح النبي ﷺ في هذا الدعاء وتكراره سؤال المولى –جل في علاه– غسل خطاياه بالماء والثلج والبرد يحمل دلالات كثيرة، أهمها:

– خطورة المعصية، وتأثيرها الشديد في حجب نور الهداية، وإشعال نار الشك، فالمعاصي كما يقال بريد الكفر، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فهي المولجة نار جهنم.

– الحاجة الملحة للتطهر من الخطايا والذنوب بما يحقق برد النفوس، وثلج الصدور، ومن ثم تنشط الأبدان في محاريب العبادة والطاعة والقرب، وتقوى على صد الغواية وردع الأهواء.

جعل النبي ﷺ مِن آخر ما يُسأل للمسلم، ويدعى له به، وهو مقبل على المولى –عز في علاه– وعلى الآخرة، وعند أول منازلها، أن يغسله الله بالماء والثلج والبرد، إشارة منه إلى أن المسلم أحوج ما يكون في هذه اللحظات إلى التطهر ومحو الخطايا، حتى يلقى ربه طاهرا نقيا مبرءا من كل ما قد يحول بينه وبين الأمن الذي ليس بعده خوف، والسعادة التي ليس بعدها شقاء، والطهر الذي ليس بعده دنس، فإذا ظفر بهذا العفو، وهذه المغفرة يكون قد ظفر ببرد العيش بعد الموت، وثلج صدره بهجة وسرورا أن فاز برضا الرحمن وسكنى الجنان... هذه المقامات السامقة التي لا تنال بمال ولا بجاه ولا بمناصب، ولكن تنال بسلامة القلوب وطهر النفوس وصفاء السرائر وبياض الصحائف.

من كمال البيان أن كان ﷺ يمثل بالمحسوسات لتوضيح كثير من الأمور المعنوية التي لا قدرة للعقل على إدراكها، وتيسير تصورها و فهمها للناس، حيث استعمل الثلج لتقريب صورة الحوض والكوثر اللذان أعطيهما يوم القيامة، واللذان هما من الغيب الواجب الإيمان به، واللذان اشتركا والثلج في شدة البياض، بل هما أكثر بياضا منه، والتمثيل بالمشهود على ما هو غيبي من الأساليب البليغة في التعليم، الفعالة في البلا غ والدعوة لأن نفوس بني آدم جبلت على الاستئناس بما هو من قبيل النظائر والأشباه.

إن كان الحجر الأسود، ذاك الحجر الصلد قد اسودّ بفعل خطايا بني آدم وذنوبهم وتجرئهم على حرمات الله، وهو الذي نزل من الجنة أشد بياضا من الثلج، فكيف هو فعل هذه المعاصي في القلوب؟ لكأني بالحبيب ﷺ يقول: لفعل الخطيئة في تلك أشد، ولظلمة وسواد هذه الأخيرة بها أحلك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]. وقال أيضا: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة : 74].

تعاهد المولى عز وجل فؤاد الرسول ﷺ بالتطهير من حظ ونصيب الشيطان منه عند أبرز المحطات في حياته –عليه الصلاة والسلام– الرسالية، وقد استخدم ماء الثلج والبرد للمبالغة في الانقاء، وتخليص القلب من الوهن والكسل، ومده بالقوة وعلو الهمة ونور اليقين، كل ذلك إعدادا له –صلى الله عليه وسلم– ليقوم بواجب التبليغ، وإعانة له عليه، وفي هذا ما يفيد أهمية وضرورة تنقية القلوب وتصفية السرائر وتزكية النفوس خاصة لأولئك الذين يتطلعون لحمل مشعل الرسالة والنهوض بواجب الدعوة في الأمة.

قائمة المصادر والمراجع

رتبت قائمة المصادر والمراجع وفق الحروف الهجائية دون مراعاة "ال" التعريف في البداية

1. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية (751هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل -بيروت- ط (1973م).
2. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية (751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط (2): (1395هـ-1975م).
3. الإعجاز العلمي في [اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد]: زغلول النجار. مقال منشور على موقعه: www.elnaggarzr.com
4. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي (384هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل/ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1420هـ-1999م).
5. تحفة الأحوذي شرح جامع الترّمذي: محمد عبد بن عبد الرحيم المباركفوري (1353هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط (1): (1410هـ-1990م).
6. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (700هـ-774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط(3): (1420هـ-1999م).
7. الجامع الصحيح المختصر: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن مغيرة الجعفي (256هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط (3)، (1407هـ-1987م).
8. حاشية دلائل النبوة للبيهقي: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط (1): (1405هـ).
9. حاشية السندي على سنن النّسائي: السّندي (1138هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
10. حاشية المستدرك: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتاب العربي، بيروت.

11. الزهد والورع والعبادة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة (1)، (1407هـ).
12. سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط (1): (1412هـ-1991م).
13. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني (275هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
14. سنن الترمذي (الجامع الصّحيح): أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة التّرمذي (279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
15. شرح السيوطي على سنن النسائي: عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة (2)، (1406هـ- 1986م).
16. شرح النّووي على صحيح مسلم : أبو زكرياء محيي الدّين أبو شرف النّووي (676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة (2)، (1392هـ).
17. صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، (1390هـ-1970م).
18. صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدّين الألباني، مكتب التّربيّة العربي لدول الخليج، الرّياض، ط (1): (1408هـ-1988م).
19. صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
20. الطب النبوي: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية (751هـ)، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (1)، (1410هـ-1990م).
21. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد علي بن حجر العسقلاني (852هـ)، دار المعرفة، بيروت.

22. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (1385هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط(17)، (1412هـ).
23. كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الوطن، الرياض، (1418هـ-1997م).
24. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار المعرفة، القاهرة.
25. مسند الإمام أحمد بن حنبل (241هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
26. المستدرك على الصّحيحين: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
27. معجم متن اللغة: محمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط (1): (1378هـ-1959م).
28. معجم مقاييس اللّغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (395هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ط (1399هـ-1979م).